تقـــديم

يتمثل أسلوب العلاج بالدراما "Drama Therapy" فى استخدام المسرح كنوع من أنواع العلاج النفسى يقوم على تطبيق فنيات علم النفس العلاجى، والتمثيل الحركى والانفعالى للمواقف والأدوار الواقعية للشريحة المستهدفة، ويعتمد على التفاعل الجماعى، كما يستخدم طرقًا تعتمد على الطاقة الإبداعية والتنفيس الانفعالى داخل هذه المجموعة لتحقيق عملية العلاج أو التغيير، ويعتمد جو المجموعة على المساندة والتشجيع والديناميكية فهو أسلوب أبعد من مجرد عملية الفحص والعلاج التقليدى، حيث تقدم العملية سبيلاً إبداعيًا بعيدًا عن "الروشتات"، والملفات، والنظريات الجاهزة، ويركز على الروابط اللاشعورية مع المريض، والاستبصار الواعى بالاستجابات التى تظهر من خلال هذا التفاعل الذى ينشأ من مفهوم أننا جزء من منظومة حياتية عامة يشترك معنا آخرون على اختلاف مذاهبهم وحياتهم.

ولقد اجتهد الباحث ـ كعادته دائمًا فى أبحاثه العلمية، وفى أعماله الأدبية والفنية ـ فى رصد أساليب العلاج بالدراما، سواء على المستوى اللاشعورى (السيكودراما) "مسرحة التحليل النفسى" كما جاءت عند مورينو Moreno (١٨٨٩–١٩٧٤)،

أو المستوى الشعورى كما يظهر فى المسرح، والسينما، والتليفزيون، مع التركيز على مسرح الطفل وإظهار أهميته الكبرى فى المساعدة على النمو النفسى للطفل فى جميع جوانبه (عقليًّا ـ انفعاليًّا ـ اجتماعيًّا ـ جسميًّا) **فهذا الكتاب يقدم دراسة علمية جادة فى استخدام الدراما فى العلاج النفسى للطفل والارتقاء بالعملية التربوية.**

الدكتورة

أمينة محمد مختار

أستاذ الصحة النفسية ـ جامعة بنها

مقدمة

ثلاثون عامًا ونيف أنفقتها فى مهنة التعليم، سواء التعليم الجامعى، أو التعليم قبل الجامعى.. وأذكر وأنا فى أيامى الأولى فى هذه المهنة، وكنت فى مدرسة للغات، أذكر أن دخلت علىّ طالبة من القسم الثانوى، لكن من يشاهدها يتصور أنها تلميذة فى المرحلة الابتدائية، وذلك لكونها حطيئة لا تشغل من اهواء إلا حيزًا ضئيلاً.. لا تلمح منها إلا وجهًا صغيرًا ركب على جسد صبى نحيل، لكن فى هذا الوجه الصغير عينًا شابة بمعنى الكلمة وما فى الكلمة من معنى الشباب... قالت : مستر.. قلت : نعم.. قالت: أتسمح أن أكون نسناستك؟!.. قلت: بمعنى؟!.. قالت: إننى أحب أبى وأبى يحبنى.. وينادينى بهذا الاسم "نسناستى".. قلت: سمحت.. وبعد.. قالت: أخبرنى عن نون الوقاية؟.. وشرحت لها نون الوقاية.

.. فقد كانت المدرسة وهى مدرسة للغات مستوى العربية فيها ليس بمستوى اللغة العربية بالمدارس الحكومية. ومع مرور الأيام أصبحت هذه الحطيئة ابنة لى.. ويا ألمى عندما عرفت بأحوالها ومجتمعها، فقد كانت تعيش على أطراف الحى الأرستقراطى، وكان هؤلاء البشر الذين عاشوا على هذه الأطراف – قبل أن يمتد العمران وتصبح هذه الأطراف فى صلب هذا الحى – هؤلاء الذين عاشوا فى هذه الأطراف أغلبهم من البسطاء ومن العاملين فى بعض المنشآت القريبة من الحى.. إلا أن أولاد هؤلاء البشر زاملوا أبناء الحى الأصليين فى مدارسهم.. حدث ذلك مع التغيير الذى جاءت به ثورة يوليو ١٩٥٢م.

عاش الأولاد والبنات فى المدارس، وشاهدوا.. وتتطلعوا.. وعانوا.. من فجوة التنشئة بينهم وبين أبناء الأرستقراطية العريقة.. وشعروا بالدونية داخلهم.. فلذا أضفت "لنسناستى" الحساسية المفرطة.. وفقدان الحب منذ طفولتها المبكرة.. والظروف والمآزق الاقتصادية بسبب الأب، والذى حملت الفتاة عقدته (عقدة ألكترا)، إلا أنه سقط أمام عينيها سقوط البطل الأسطورى التراجيدى، فتحولت إلى البديل (الصبى الشقيق الوحيد لها بعد الشقيقات الإناث).. والذى يتقارب فى خصاله مع خصالها، وإن كانت خصاله تحمل ذكورية، فالضعف والاعتمادية عنده مع الطيش، دفعته لأن يعيش كما يقولون (بالفهلوة)..... وينزلق فى مشكلات كثيرة..... و..... وزاد (العُصاب)، واستفحل الداء عند (نسناستى)، وكنتُ فى ذلك الوقت أساعد تلاميذى نفسيًا بالموسيقى.. ولكن لم أستطع أن أنجح معها بهذا العلاج، بسبب ارتباط الموسيقى فى ذهنها ووجدانها بهذا الأخ الذى يدعى أنه موسيقار..... و..... و..... وانتقلتُ من المدرسة...

ودارت الأيام ومرت.. وإذا بجرس التليفون يدق فى منزلى ليلاً وإذا المتكلم عضو بمجلس الشعب بدائرة عملى وقتها وكنت موجهًا أول بالإدارة التعليمية.. رفعت السماعة فسمعت : السلام عليكم.. قلت : وعليكم السلام.. قال المتكلم : أنا (.....) عضو مجلس الشعب.. قلت : مرحبا.. قال : أريد مقابلتك فى أمر مهم.. قلت : تفضل..

وحضر وبيده كشف بأسماء طلبة تم فصلهم من مدرستهم الثانوية.. فقلت : حضرتك.. أنا لست إداريًا، وليس من صلاحياتى فعل شىء لهم.. قال : قدمت إليك لأننى حضرت حفلاتك المسرحية بالإدارة التعليمية وشاهدت زوارك من النجوم والإعلاميين الكبار.. وشاهدت حظوتك عند القائمين على أمر التعليم... وهؤلاء الطلبة فى حاجة للاحتضان والعلاج أكثر من احتياجهم إلى الذبح بالفصل، ففى الفصل من المدرسة نهاية لهم.. وقد استشرت قبل الاتصال بك كثيرًا من

أصدقائك وضيوفك الذين تعرفت بهم فى حفلاتك ومهرجاناتك المسرحية. وكلهم أكدوا لى أن عندك حلاً لهذه المشكلة، ولا أخفيك سرًّا أننى توسطت أكثر من مرة لهم وأعدت قيدهم فى المدرسة وأخجل أن أطلب إعادتهم من المسئولين مرة أخرى، لكننى أعلم أنك ستجد وسيلة لإعادتهم وانتظامهم مع إصلاحك لما اعوج من سلوكهم.

وفكرت أيضًا فى استخدام العلاج النفسى بالموسيقى معهم، إلا أننى وجدته غير ممكن، فلا أدوات بالمدارس، ولا...، ولا...، ففكرت وفكرت.. وكنت قد توسطت لعودتهم مع إعطاء وعد بأننى مسئول عنهم.. وكانت مشكلة بالنسبة لى.. وفى جلسة مع الصحفية الكبيرة الأستاذة / أمينة السعيد – رحمها الله – وكنتُ فى معية الأستاذة الصحفية الكبيرة / سلوى جمجوم أشارتا علىّ بأن استخدم العلاج السيكودرامى مع هؤلاء الطلبة، وأيد هذه الفكرة مجموعة من الأصدقاء الفنانين المترددين على صالون الناقدة الفنية الأستاذة / سلوى جمجوم كالأساتذ / سعد عبد الوهاب – رحمه الله – و أ.د. / ماجدة صالح فنانة البالية الأولى والعميدة السابقة لمعهد البالية وكانت وقتها أول رئيس للأوبرا الجديدة، وغيرهم كثير، وأصبحت الفكرة مكتملة الأركان فى ذهنى وبدأت التنفيذ، ووفقنى الله فى تعديل سلوك هؤلاء الطلبة المشاغبين فعلاً بالسيكودراما فانخفض عدوانهم بشكل واضح وجلى، بل إنهم حققوا تقدمًا لافتًا للنظر فى مجموع درجاتهم فى الثانوية العامة فى ذلك العام، وقد التحق هؤلاء الطلبة جميعًا بكليات القمة.. وتخرجوا فيها.

أعود إلى الوراء قليلاً فإننى مع بداية التجربة ونجاحها.. فكرت أن أقدم دراستى لنيل درجة الدكتوراه فى الصحة النفسية فى هذا الموضوع، وذهبت لاستشارة الأصدقاء المسرحيين والنفسيين، وكلهم شجعونى لاختيارى لهذا الموضوع وسمعت وعودًا كثيرة بمساعدتى فى الحصول على مراجع كثيرة فى السيكودراما وسهل لى الجميع المهمة.. ولكننى عانيت الأمرَّين.. وكانت

دراسة!!!... وكان بحثًا أضنانى.. فلم تكن هناك دراسات كثيرة بالمكتبة العربية.. والمراجع الأجنبية قليلة شحيحة.. وكنتُ يوميًّا فى مكتبة السفارة الأمريكية.. ومكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة.. وغيرها.. وغيرها.

وكان الإشراف على البحث لأستاذتى الأستاذة الدكتورة / أمينة مختار وهى مرجع فى الإنجليزية بحكم دراستها، وبحكم كونها حرم سفير جابت معه أقطار الأرض، وهى محبة للإتقان وترى فىَّ أننى يمكن أن آتى بالمستحيل.. وأنا (درعمى)• الهوى واللسان.. نعم أعرف الإنجليزية.. ولكن هى تطلب منى أن أكون فى الإنجليزية على نفس مستواى فى اللغة العربية.. وهيهات.. هيهات، فالأستاذة الدكتورة / أمينة مختار.. هى عنوان الكمال.. ولا تقبل من مثلى إلا الكمال.. لذلك قالت لى بالحرف الواحد: "الكمال التام أو الموت الزؤام".. وقالت: " وأنا أعلم أنك قدّها ".. وكان والحمد لله.. وأشكر فضله أن أنعم علىّ بنعمة قبول الأستاذة الدكتورة / أمينة مختار الإشراف على رسالتى.. فمن دونها ومن دون إصرارها ما ظهرت هذه الدراسة بهذا التميز.. فهى أول دراسة عربية عن العلاج النفسى بالمسرح المدرسى.. هذا المسرح الذى حار فيه " المصطلح العلمى " وهو أول خطوات البحث العلمى، بل إن أول المنطلقات هى تحديد المصطلحات.. ووجدتُ نفسى بين من يطلق عليه (التربية المسرحية) كما يسمى بوزارة التربية والتعليم، أو (المسرح التعليمى) كما يسمى فى كليات التربية النوعية بأقسام المسرح بها، أو (المسرح المدرسى) وهذا ما اخترته فى أبحاثى العلمية للمسرح فى المدارس.

والحقيقة أننى تعرفت بالمسرح أول ما تعرفت عليه وعشقته بمدرستى الأولى، بعدها انحسر المسرح فى المدارس واختفى. ومع جمع من فنانى مدينتى أقمنا فرقة خاصة للتمثيل، وكنا نقوم أحيانًا بعمل عروض مسرحية للمحليات، وتقوم

• حيث إننى حاصل على ليسانس من كلية دار العلوم – جامعة القاهرة – ودراسات عليا فى اللغة العربية (دبلومين فى طرق تدريسها) ، هذا بجانب دراساتى فى المسرح، والموسيقى، وعلم النفس.

المحليات بالإنفاق عليها لعمل احتفالات أعياد الثورة، والأعياد القومية المختلفة، وهذا قبل أن نوفق فى السعى لإقامة (بيت للثقافة الجماهيرية) الذى تلاه (قصر للثقافة الجماهيرية) وهو الموجود الآن بمدينتى.. وشاركنى مجموعة من هواة الفن أصبحوا بعد ذلك أعلامًا ونجومًا فى سماء الفن المصرى بدرجة امتياز، كالفنان المخرج / فهمى عبد الحميد – رحمه الله – وشاعر الفصحى و الشاعر الغنائى الأستاذ / فائز جعفر... وغيرهم كثيرٌ كثير.

وتم التحول الأكبر وأنا على عتبات الشباب الأولى عندما ذهبت للتعرف ومشاهدة بروفات مسرحية (بستان الكرز) لعملاق المسرح المصرى والعربى المخرج والشاعر المسرحى والممثل / نجيب سرور، وقد كان زميلى الأستاذ / مدحت حسن - ابن خالة أو خال له على ما أذكر -... ذهبت معه لتبدأ تجربة السباحة فى محيطات المسرح على يد هذا الرائد العبقرى الذى لم ينل حقه فى المحروسة... برغم أنه يساوى فى العربية ما يساويه شكسبير فى الإنجليزية.. لكن ماذا أقول ؟؟؟ !!!

وداومت على حضور بروفات (بستان الكرز) فى (مسرح الجيب)، وكنتُ سعيدًا جدًّا بصداقتى بالنجمة الصاعدة وقتها الفنانة الكبيرة بنت مصر الأستاذة / سهير المرشدى، والتى كانت لا تزال طالبة بالسنة الرابعة بمعهد الفنون المسرحية.. وتوالى حضورى لمشاهدة مسرحيات / نجيب سرور (الطاحونة)... و.. وكثير من أعمال هذا الفنان العبقرى...

كل هذا لكنى أهمس فى أذنك بأننى منذ الطفولة، وأنا أفكر فى قوله عز وجل فى سورة يوسف : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ .. يا الله سبحانك.. للدراما جاذبية.. للدراما مسالك ودروب إلى وفى النفس الإنسانية.

وإن الرحلة كانت مع الدراما طويلة.. وبين زمن النسناسة الفاسقة ، وزمن الطلبة المشاغبين كان مشوارى مع العلاج النفسى بالموسيقى، والعلاج النفسى بالدراما... وأستمر إلى اليوم.

المؤلف د./ عبد الفتاح نجله

القناطر الخيرية إبريل ٢٠٠٩

Dr.Nagla@hotmail.com

Nagla_Dr@yahoo.com

• عندما صادفت " النسناسة " فى مطار (هثرو) بلندن فى العام الماضى.. شاهدت (البارانويا) مجسمة أمامى فى هذا الكيان الضئيل.. الذى فخخ طوال حياته بالتشبيق.. فهدمه.. ولم أستطع أن أمنع دمعة فرت من مقلتى.. ويظهر أن زوجتى الإنجليزية المسلمة لاحظت، فمالت علىّ ومسحت الدمعة بشفتيها.. وقالت لى : أوه.. إذن هى ؟!.. قلت : نعم هى التى..... قالت : لله فى خلقه شئون.....